Abhat Journal, Volume. 15, Issue. 2, September 2023

Abhat Journal, Faculty of Arts, Sirte University مجلة أبحاث بكلية الآداب جامعة سرت

Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/ABHAT/index

العلاقات السياسية بين مملكة بين المقدس الصليبية والمسلمين في بلاد الشام وكونتية طرابلس الصليبية: 1096-1250

د. هبة عبدالرازق الزوكي

Sarroni2013@gmail.com

قسم التاريخ /كلية الآداب/ جامعة درنة/ ليبيا

الملخّص:

تعد مملكة بيت المقدس من أهم النتائج التي ترتبت على الحملة الصليبية الأولى 490هـ/1096م، فمن المعروف أن الحروب الصليبية كانت تتسم بالطابع الدموي، إذ ارتكب الصليبيون أبشع الجرائم، وكان التعصب الديني واضحاً بين صفوف الصليبيين، وحاول الصليبيون السيطرة على معظم مدن الساحل الشامي والمناطق الريفية، وعلى الرغم من ذلك فقد تكونت علاقات سياسية بين المسلمين والصليبيين التي امتازت في بعض الأحيان بالعلاقات السلمية؛ مما أدى إلى حدوث نوع من التبادل بين الطرفين في مختلف نواحي الحياة.

وجدت بعض الأسر الحاكمة لبعض المناطق الخاضعة للسيطرة السلجوقية في قدوم الصليبين فرصة للقضاء على السلاجقة فقاموا بمعاونة الصليبيين، ومن جانب آخر ما نتج عن حالة الحرب الدائمة بين العرب المسلمين والصليبيين من تدمير وتخريب للأراضي وإيقاف لحركة القوافل التجارية، مما ألحق بالمسلمين خسائر كبيرة فدفعهم؛ ذلك لإيجاد نوع من المهادنة مع الصليبيين ،علاوة على ذلك العامل الجغرافي الذي فرض على الصليبيين مهادنة العرب.

ومن جانب آخر كان الخطر الإسلامي سبباً رئيسياً في التحالف بين مملكة بيت المقدس الصليبية وكونتية طرابلس، فقد كانت العلاقات بينهما في توتر دائم وظلت تتأرجح بين الصراع تارة والمهادنة تارة أخرى إلى أن وجد الصليبيون أنفسهم في مواجهة هدف واحد وهو الخطر الإسلامي فاتفق الطرفان وظلت كونتية طرابلس تابعة لمملكة بيت المقدس.

الكلمات المفتاحية:

سياسية، الصليبيين، علاقات، كونتية طرابلس، المسلمين، مملكة بيت المقدس.

Political Relations Between the Crusader Kingdom of Jerusalem and Muslims in the Levant and the Crusader County of Tripoli: 1096 -1250 AD

Dr. Heba Abdulrraziq Elzouki

Sarroni2013@gmail.com

Department of History/ Faculty of Arts

Derna University/ Libya

Abstract:

The Kingdom of Jerusalem is one of the most important results of the First Crusade in 490 AH / 1096 CE. It is known that the Crusades, from their early inception, were of a bloody nature, as the Crusaders committed the most heinous crimes. The cities of the Levantine coast and the rural areas, and despite that, political relations were formed between the Muslims and the Crusaders, which were sometimes characterized by peaceful relations, which led to a kind of exchange between the two parties in various aspects of life.

Some of the ruling families of some areas under Seljuk control saw the advent of the Crusaders an opportunity to eliminate the Seljuks, so they assisted the Crusaders. To find a kind of truce with the Crusaders, in addition to the geographical factor that forced the Crusaders to truce the Arabs.

The Islamic threat was a major reason for the alliance between the Crusader Kingdom of Jerusalem and the county of Tripoli, and the Crusader-Crusader relations between the Kingdom of Jerusalem and the county of Tripoli were in tension since its inception, and the relations kept oscillating between conflict and appeasement until the Crusaders found themselves facing one goal, which is the Islamic threat, so the Crusaders agreed and remained The county of Tripoli belongs to the Kingdom of Jerusalem.

Keywords:

Jerusalem, Crusades, Seljuk, Tripoli.

المقدمة:

من المعروف أن بلاد الشام شهدت خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين حروباً شرسة قادها الغرب الأوروبي ضد سكان بلاد الشام وهي الحروب الصليبية، والتي تعد إحدى الظواهر التي ميزت العصور الوسطى؛ لكونها استغرقت ما يقارب القرنين. وقد كان لها آثار على مختلف نواحي الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية والعسكرية سواء على بلاد الشام ومصر من جهة، والغرب الأوروبي من جهة أخرى. وكانت هذه الحملات تمثل العلاقات بين الشرق والغرب على مختلف مستوياتها.

كانت الحروب الصليبية منذ بدايتها تتميز بالصبغة الدموية، إذ ارتكب الصليبيون العديد من المذابح التي ذهب ضحيتها مئات الألوف من الأبرياء والمدافعين عن أراضيهم ما يدل على انتشار التعصب الديني بين صفوف الصليبيين تجاه المسلمين والمسيحيين الذين لا يتبعون المذهب الكاثوليكي. وشهدت مدينة بيت المقدس خلال الحملة الصليبية الأولى أبشع المذابح ارتكبها الصليبيون عند الاستيلاء عليها وعلى المدن الواقعة على الساحل الشامي مثل مدينة قيسارية، جبيل، طرابلس، وغيرها.

تكونت مملكة بيت المقدس الصليبية على يد فرسان الحملة الصليبية الأولى وأمرائها عام (440هـ/1096م) واستطاعت في ظل ضعف العالم الإسلامي وانقسامه أن تؤسس إمارات صليبية أخرى وهي مملكة الرها، وأنطاكيا، وطرابلس على الرغم من ذلك لم تكن العلاقات بين الطرفين العربي الإسلامي والصليبي دائماً علاقات صراع وحروب، بل تخلل تاريخ الحروب الصليبية بعض العلاقات السلمية، وأثر ذلك في تبادل المؤثرات بين الطرفين في مختلف نواحي الحياة.

لاشك فإن المتعمق في تاريخ الحروب الصليبية يلاحظ أن معظم الدراسات والأبحاث قد انصبت في معظمها على الجوانب العسكرية، بينما اكتنف الغموض العلاقات السياسية وأسبابها سواء العلاقات الصليبية – الصليبية، أو العلاقات الصليبية – الإسلامية، فكان ذلك من الأسباب التي دفعتني لاختيار موضوع هذه الدراسة "العلاقات السياسية بين مملكة بيت المقدس الصليبية والمسلمين في بلاد الشام، وكونتية طرابلس الصليبية".

هدف الدراسة:

الهدف من هذه الدراسة هو الرغبة الشديدة في توضيح وبيان أهمية العلاقات السياسية بين مملكة بيت المقدس والإمارات الشامية وكونتية طرابلس الصليبية، وأهم الأسباب التي دفعت الصليبيين والحكام المسلمين لإقامة علاقات سياسية بينهما، وتوضيح الظروف التي دفعت كلاً من المسلمين والصليبيين لإقامة علاقات سياسية بينهما.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إلقاء الضوء على أهمية دور الحروب الصليبية في تكوين نوع من العلاقات السياسية بين المسلمين والصليبيين، وعلى الرغم من أنها علاقات تصب لمصالح شخصية بين الطرفين، إلا أنها تعد تغييراً لفكرة الحروب الصليبية والتي عرفت بأنها حروب دموية وانتهاك لحرمة العالم الإسلامي.

المنهجية:

أما المنهج المتبع فهو المنهج التاريخي السردي التحليلي، حيث يتم سرد الأحداث وفق التسلسل التاريخي والزمني وتحليلها من خلال ما توافر من مصادر ومراجع؛ بغرض الوصول إلى الحقيقة التاريخية النسبية.

وقد اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر العربية والمراجع العربية والأجنبية التي قمت بترجمتها والخاصة بالتاريخ الأوروبي الوسيط وتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب.

وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور، سيتناول المحور الأول الحديث عن الأسباب التي دفعت الصليبيين والمسلمين إلى إقامة علاقات سياسية بينهما. فكيف كانت الأحداث على الساحة العربية؟ وما الذي دفع المسلمين لإيجاد نوع من العلاقات مع الصليبيين؟ وهل كان المسلمون يحرصون على قيام جبهة إسلامية موحدة أم أن كلا منهم كان يسعى للحفاظ على سلطانه ونفوذه؟ وكيف كان العامل الجغرافي دافعاً أولياً للصليبيين لتكوين علاقات سياسية مع المسلمين؟ وهل كانت أعداد الصليبيين في بلاد الشام تفوق أعداد المسلمين؟ أم أنها كانت أقل عدداً؟ وهل تأقلم الصليبيون الذين استقروا في بلاد الشام مع العادات الشرقية ونمط الحياة فيها؟

أما المحور الثاني فيتطرق بالحديث عن العلاقات السياسية بين مملكة بيت المقدس والمسلمين في بلاد الشام، وسيتم الحديث عن تأسيس مملكة بيت المقدس و التعريف الجغرافي للمملكة ومن ثم تتويج الملك بلدوين الأول كونت الرها لتلك المملكة الجديدة، وكيف قام الملك بلدوين بالتوسع العسكري وضم المدن الساحلية الشامية لتكون حلقة وصل بين الغرب الأوروبي والمملكة الصليبية الجديدة.

كما يضم الحديث عن العلاقات السياسية بين مملكة بيت المقدس وإمارة دمشق. وكيف بدأت العلاقات بين الطرفين؟ وهل كان قيامها في البداية عسكرياً أم سلمياً؟ وما الظروف الداخلية لكل من الصليبيين والمسلمين والتي جعلت كلاً منهما يسعى لإيجاد طريقة للتواصل مع الطرف الآخر من أجل أن يسود السلام؟

وفي المحور الثالث سيتم الحديث عن العلاقات السياسية بين كونتية طرابلس ومملكة بيت المقدس الصليبية، فهي علاقات صليبية – صليبية وسيتم في البداية الحديث عن تأسيس كونتية طرابلس وتوسعها، وكيف سعى ريموند كونت تولوز يخطط للاستيلاء عليها والحديث عن محاولاته في السيطرة عليها؟ وهل نجح في ذلك أم أنه لم يتمكن من الوصول إلى هدفه؟ وكيف تجمعت الأطراف الصليبية وتمكنت من الاستيلاء عليها وتأسيس كونتية لهم في بلاد الشام؟

وأخيراً سيكون الحديث عن العلاقات السياسية بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس وهل كانت العلاقات سلمية أم متوترة؟ وهل أصبحت كونتية طرابلس تتبع لمملكة بيت المقدس؟ وكيف كان دور المسلمين في العلاقات بين الصليبيين.

أولاً: الأسباب التي دفعت الصليبيين والمسلمين إلى إقامة علاقات سياسية بينهما:

اتسمت العلاقات بين الصليبيين والمسلمين في بلاد الشام بالطابع العسكري ، إلا أن الظروف السياسية والاقتصادية ألزمت الطرفين للسعي لإيجاد نوع من العلاقات الدبلوماسية والسياسية، فعلى الصعيد العربي كانت هناك عدة أسباب دفعت العرب المسلمين إلى إقامة علاقات سياسية مع الصليبيين :

1) كانت بلاد الشام تعاني من الانقسام السياسي والعديد من الإمارات المنقسمة والمتناحرة فيما بينها نتيجة لسيطرة السلاجقة (حلمي، أحمد كمال الدين، 1975، ص21)، وأخذت الاسرات الحاكمة آنذاك تسعى للتخلص من الحكم السلجوقي، وقد واتت الفرصة خلال زحف الحملة الصليبية، فاتبعوا معها سياسة المسالمة وتقديم المساعدات (ريان، حامد، 1983،ص 21-22).

2) اعتبر أمراء بلاد الشام الحملات العسكرية التي أرسلها السلاطين السلاجقة لمواجهة الصليبيين عبارة عن محاولة لفرض سلطتهم المركزية ، فبدأ بعض الأمراء ء بإقامة تحالفات سياسية مع الصليبيين لمواجهة السلاطين السلاجقة (توفيق، عمر كمال، 1986م،ص 55، 56).

3) كان بعض حكام المسلمين في بلاد الشام يسعون إلى عدم قيام جبهة إسلامية موحدة في بلاد الشام خوفاً على سلطانهم ونفوذهم (ابن النديم، (د.ت)،ص174).

4) نتج عن حالة الحرب الدائمة بين الطرفين تدمير للأراضي وتوقف حركة التجارة الأمر الذي دفع المسلمين لإقامة علاقات ودية مع الصليبيين.

5) إن وقوع الأسرى بين الطرفين جعل الاتصال مستمرا بينهما وتطلب ذلك إرسال الرسل من أجل التفاوض وإطلاق سراحهم الأمر الذي مكنهم من معرفة أحوال العدو (توفيق،1986 ،ص56).

أما على الصعيد الصليبي فقد تمثلت الأسباب التي دفعت الصليبيين إلى إقامة علاقات سياسية مع العرب المسلمين في النقاط التالية :

1) يعد العامل الجغرافي سببا رئيسا إذ كان للإمارات الصليبية مساحة ضيقة من الساحل الشامي مقارنة ببقية المناطق التي بأيدي العرب المسلمين، إضافة إلى أن المناطق التي سيطر عليها الصليبيون قريبة من المراكز والمدن الإسلامية، وفرض هذا الجوار على الصليبيين الاتصال المستمر مع العرب المسلمين (توفيق، 1986، ص 78).

2) كانت أعداد الصليبيين الذين استقروا في بلاد الشام قليلة مقارنة بأعداد السكان العرب مما جعل الصليبيين يسعون لعقد المصالحات والمعاهدات مع العرب ليتمكنوا من تحصين مواقعهم، إضافة إلى تأقلم الصليبيون الذين استقروا في بلاد الشام مع العادات والتقاليد ونمط الحياة الشرقية (فولتشير، أوف تشارترز، 1995، ص371).

3) عدم وجود سلطة مركزية قوية للصليبيين فعلى الرغم من أن الإمارات الصليبية تترأسها أسر ملكية، إلا أنها كانت لا تملك صلاحيات واسعة أمام الكنيسة التي تمتعت بعدة امتيازات جعلتها عبارة عن دولة داخل دولة. فضلاً عن النظم السياسية التي كانت سائدة بين الصليبيين أدى إلى تأرجح الكفة لصالح المسلمين، كذلك احتكار المدن الإيطالية للتجارة داخل الإمارات الصليبية الأمر الذي أدى إلى تمزيق صفوفهم (توفيق،1986 ،ص80). والواقع أن هذه الأمور دفعت الصليبيين إلى عقد معاهدات وإقامة علاقات مع العرب المسلمين من أجل التفرغ لأوضاعهم الداخلية.

4) إن السعي لإطلاق سراح الأسرى الصليبيين لدى المسلمين وخاصة الأمراء منهم جعل الصليبيين يسعون لإقامة علاقات مع المسلمين كما كان الأمر عند المسلمين أيضاً.

5) من الأسباب التي دفعت الصليبيين- أيضاً- للاتصال مع المسلمين الأسباب والمصالح الاقتصادية باعتبار أن المشتغلين بالتجارة وخاصة أبناء المدن الإيطالية والتي نتج عنها الكثير من الأرباح الوفيرة؛ لكثرة اتصالهم بالعرب المسلمين، قد كان سعيهم الدائم منع أية مخاطر ضد جيرانهم المسلمين (علي، علي السيد، 1996،ص 94).

ومن ذلك يمكن الاستنتاج أن الأسباب التي دفعت الطرفين لإقامة علاقات ودية هي أسباب سياسية واقتصادية وفي مجملها متشابكة ومشتركة لصالح الطرفين.

ثانياً: العلاقات السياسية بين مملكة بيت المقدس الصليبية والإمارات العربية الإسلامية في بلاد الشام:

1) تأسيس مملكة بيت المقدس:

استولى الصليبيون على مدينتي بيت المقدس وبيت لحم سنة 493هـ/1099م، وكانت تلك النواة الأولى لتأسيس مملكة بيت المقدس. وقد اقتصرت على مساحة ضيقة من الأرض تشمل المدينتين المقدستين، وميناء يافا، ونابلس، ثم تمكن الصليبيون من السيطرة على أجزاء من منطقة الخليل شملت مرج بني عامر ( ) (الدباغ، مصطفى، 1991م،ص 50) بين الناصرة وبحيرة الحولة (رانسيان، ستيفن،(د.ت) ،ص 30)، ومنها أصبحت إمارة مستقلة.

توج بلدوين الأول كونت الرها على بيت المقدس سنة 494هـ/1100م والمنطقة الممتدة في كنيسة العذراء ببيت لحم، ليكون أول ملوك مملكة بيت المقدس، وعمل على جمع قواته واتجه جنوب المناطق الخاضعة للسيطرة العربية الإسلامية لتأمينها (عوض، محمد مؤنس، 1992، ص 42، وليم الصوري، 1982، ص 208-209، عاشور، سعيد عبد الفتاح، 1996، ص 266).

وضع بلدوين الأول- عند تتوجيه ملكاً على بيت المقدس- خطة استهدفت محاولة ضم المدن الساحلية الشامية، لكي تكون خط اتصال بين الغرب الأوروبي والمملكة الصليبية الوليدة، فالقرب مثل العمق الاستراتيجي لمملكة بيت المقدس عن طريق إمدادها بالحجاج والجنود وتنشيط التجارة، وعلى هذا الأمر قام بلدوين الأول بالاستيلاء على أرسوف( ) سنة 795هـ/ 1101م (عوض، محمد مؤنس، 1997،ص 7-8) بالتعاون مع المدن البحرية الإيطالية مثل جنوه، والبندقية، وبيزا (ديل، شارل، 1948م،ص 29-35، أسعد، سامي سلطان، 1958،ص33)، التي رأت في ذلك فرصة سانحة لتحويل تجارة الشرق؛ لتكون في قبضتها.

عقب سقوط أرسوف اتجه الصليبيون والجنوية لحصار قيسارية برا وبحراً (ابن القلانسي (جمرة بن أسد)، 1983،ص 139)، وبدأ حصارها في 2 مايو 1101م/ 494هـ، واستمر حتى 17 مايو، وخلال هذه الفترة جرت المفاوضات بين الصليبيين وأهل المدينة وفشلت المفاوضات بين الجانبين، وشدد الصليبيون هجماتهم عليها إلى أن سقطت في أيديهم وارتكبوا فيها أبشع الجرائم بعد حصار دام خمسة عشر يوما.

بعد الانتهاء من الاستيلاء على أرسوف وقيسارية توجه الملك الصليبي بلدوين الأول للاستيلاء على عكا( ) (الدباغ، بلاد فلسطين، 1999،ص 138)، وكانت متصلة بطريق تجاري مزدهر مع دمشق وتعد قاعدة مهمة من القواعد الساحلية التابعة للدولة الفاطمية فحاصرها سنة 496هـ/1103م ولم يتمكن من الاستيلاء عليها بفضل جهود ومقاومة المسلمين وتراجع بلدوين وعاد أدراجه إلى بيت المقدس منتظراً الفرصة المواتية للانقضاض على عكا إلى أن واتته الفرصة سنة 497هـ/1104م وتحالف مع الأساطيل الجنوية والبيزية وتم تطويق المدينة براً وبحراً وبدأت الهجمات المكثفة عليها التي استمرت عشرين يوماً (ابن القلانسي، 1986،ص 139، عبد الهادي، حنان عبد الحميد محمد، 1996، ص167) إلى أن أرهق سكانها عن المقاومة واستسلم أهلها واتفق الطرفان على تسليم المدينة مقابل خروج الأهالي منها بسلام، غير أن الصليبيين نكثوا عهدهم وفتكوا بأهلها (Re'ne Grousset, L' Epopée Croisades, Paris, 1939 p.68)

وبسقوط عكا خسر الأسطول الفاطمي أهم قواعده بالساحل الشامي وأصبح للصليبيين السيادة على أغلب شواطئ فلسطين والجزء الجنوبي للساحل الشامي باستثناء عسقلان، كما استفاد التجار الإيطاليون استفادة كبيرة إذ مكنهم ذلك من العبور إلى أسواق مملكة بيت المقدس فاتسع نفوذهم التجاري.

بعد ذلك اتجه الصليبون جنوب بيروت سنة 503هـ/1110م وتمكنوا من الاستيلاء عليها بمساعدة كونت طرابلس والأسطول الجنوي المتواجد في ميناء السويدية بعد حصار استمر لمدة خمسة وسبعين يوماً (فولتير،1992ص 437، علي، أسامة سيد، 1992،ص 86). كما سيطر في العام ذاته على مدينة صيدا (رانسيمان، د.ت، ص 12).

وبذلك تمكن من السيطرة على الجزء الأوسط من الساحل الشامي باستثناء مدينة صور التي تعرضت لغارات متتالية منذ بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وفي نهاية الأمر تم الاستيلاء عليها سنة 518هـ/1124م في عهد الملك بلدوين الثاني (وليم الصوري، 1982ص328).

وعلى الرغم من تأمين الصليبيين لبيت المقدس وحماية الحدود البحرية إلا أنها تعرضت لحملات عسكرية عربية إسلامية وتمكن العرب من السيطرة على منطقة طبرية، ونابلس وبعض المدن الساحلية؛ لذا سعى الملك بلدوين الأول على تأمين حدود المملكة فهاجم المناطق الواقعة شرقي نهر الأردن على الشوبك سنة 509هـ/1115م (وليم الصوري، 1982، ص316، الطيبي، أمين توفيق، 1992، ص 11، ماير هانس ايرهارد، 1990، ص 116).

عمل الصليبيون على إحاطة عسقلان بعدة قلاع لحمايتها من هجمات المسلمين المتكررة ومنها قلعة بيت جبرين في سنة 525هـ/1130م، وقلعة يبنة في سنة 536هـ/1141م، وقلعة تل صافي في سنة 536-537هـ/ 1141-1142م، واستولى الصليبيون على مدينة غزة سنة 544هـ/1149م، ونتيجة لهذه الإجراءات تمكنوا من الاستيلاء على مدينة عسقلان سنة 548هـ/1153م (عوض، 1992، ص 8)، وبذلك بلغت مملكة بيت المقدس أقصى اتساعها.

2) العلاقات السياسية بين مملكة بيت المقدس وإمارة دمشق:

بدأت العلاقات السياسية بين الصليبيين وإمارة دمشق منذ حصار مدينة أنطاكية واستمرت الصدامات العسكرية بين الجانبين ففي سنة 500هـ/1106م قام الدمشقيون بمهاجمة منطقة الجليل وخاصة طبرية لمنع الصليبيين من الإغارة على أعمال السواد( ) (الحموي، ياقوت، د.ت، ص 882) وحوران وجبل عوف (الحموي، د.ت، ص 12)، كما قدمت دمشق المساعدة لمدينة صيدا التي تعرضت للحصار الصليبي سنة 501هـ/1108م (ابن القلانسي،1982، ص 273).

دفعت الظروف الداخلية كلاً من الصليبيين والمسلمين لإيجاد طريقة للتواصل بينهما من أجل أن يسود السلام وإقامة علاقات سياسية بينهما، ففي سنة 494هـ/1100م جرت اتصالات بين دمشق وصليبيي بيت المقدس والتفاوض لإطلاق عدد من الأسرى مقابل مبلغ مالي كبير يدفعه الصليبيون (ألبرت فون آخن، 2007، ص 196) وربما يرجع سبب موافقة الصليبيين على ذلك نتيجة للوضع السياسي للمملكة.

في سنة 501هـ/1108م عقدت معاهدة بين المسلمين والصليبيين نصت أن يكون السواد وجبل عوف أثلاث لدمشق والثلث للإفرنج وللفلاحين ثلثان واستمرت الهدنة لمدة أربع سنوات (ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، 1997،ص 571).

نتج عن هذه الهدنة نوع من المشاركة لتلك المناطق والتي أطلق عليها اسم المناصفات، وحدثت العديد من الاتصالات بين مملكة بيت المقدس ودمشق، وأصبحت بلاد المناصفات محايدة لا يمكن لأي من الطرفين استعمالها للعبور لمهاجمة أي طرف ضد الآخر (توفيق،1986، ص 221).

أدرك الصليبيون ضعف إمارة دمشق والخلافات القائمة بين الأمراء المسلمين في بلاد الشام فقاموا بمهاجمة منطقة البقاع التابعة لدمشق، وبعد عدة مراسلات بين الملك بلدوين الأول وحاكم دمشق انتهى الأمر بتوقيع هدنة نصت على الموادعة بينهما على أن يكون الثلث للصليبيين والثلثان للمسلمين والفلاحين (ابن القلانسي،1982م،ص 221).

وفي سنة 504هـ/1111م وقعت معاهدة أخرى بين الجانبين نصت على أن يكون للصليبين النصف من ارتفاع جبل عوف والسواد والحيانية( ) (ياقوت الحموي، د.ت، ص 327)، إضافة إلى الأملاك التابعة لهم (ابن القلانسي، 1982، ص 278). وعلى ما يبدو أن هذه الهدنة كانت الكفة لصالح الصليبيين وعبرت عن ضعف قوة حاكم دمشق بعد أن تنازل للصليبيين عن نصف الأراضي التي نصت عليها هدنة سنة 501هـ/1108م، وأصبحت تلك المعاهدات أسلم وسيلة للتوسع الصليبي في الأراضي الخاضعة لدمشق دون خوض العديد من المعارك.

ظلت العلاقات بين صليبيي بيت المقدس ودمشق خلال العقود الأولى من القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي تتراوح ما بين التقارب حيناً والصدام العسكري حيناً آخر إلى أن قام عماد الدين زنكي بمشاريع توسعية في بلاد الشام الأمر الذي أدى إلى حدوث تقارب بين مملكة بيت المقدس الصليبية وبين دمشق (ابن الأثير،1997، ص426، توفيق، 1986، ص 61-62).

وربما يرجع ذلك إلى خوف الصليبيين من إقامة جبهة إسلامية عربية موحدة ضدهم في بلاد الشام.

كما كان ذلك التقارب- أيضاً- لصالح حكام دمشق الذين تخوفوا من استيلاء عماد الدين زنكي على مدينتهم فوجدوا في الصليبيين قوة تساندهم للوقوف في وجه هجمات زنكي ومن بعده نور الدين محمود حيث تزايدت هجماته على أملاك دمشق وقام الأمير معين الدين أنر( ) (ابن الأثير،1997، ص 174، الصفدي: خليل بن أيبك 2000، ص234، الذهبي، مُحَمَّد بن أحمد، 2003، ص 483-567) حاكم دمشق بطلب العون والمساعدة من صليبيي بيت المقدس وبالفعل تم الاتفاق بين أنر والصليبيين على التعاون على صد هجوم زنكي وأن يدفع أنر للصليبيين أموالاً لقاء تقديمهم العون وأن يستولي على حصن بانياس في الجولان الذي يتبع لزنكي ومن ثم يسلمه للصليبيين (ابن القلانسي، 1982، ص 426، وليم الصوري، 175، ابن الأثير ،1997، ص105-106، ابن قاضي شهبة بدر الدين، 1971، ص111)، شريطة أن يرسل أمراء دمشق عدداً من أقاربهم إلى مملكة بيت المقدس رهائن إلى حين وفاء أنر بعهوده، وبالفعل نتج عن هذا الاتفاق إبعاد خطر زنكي عن مدينة دمشق والمناطق الخاضعة لسيطرة صليبيي بيت المقدس، كما استعاد الصليبيون حصن بانياس بمساعدة قوات دمشق (ابن القلانسي، 426، وليم الصوري، 1982، ص175).

وبذلك يمكن استنتاج الأسباب التي دفعت الصليبيين لقبول طلب النجدة في أن الصليبيين أدركوا أهمية التحكم بإمارة دمشق خاصة أنها أصبحت تمثل خط الدفاع الأول عن المملكة ضد توسعات زنكي ومن بعده ابنه نور الدين.

استمر التحالف بين الطرفين، إذ قام أنر بزيارة لمملكة بيت المقدس لتوطيد علاقته بالصليبيين، غير أنهم كعادتهم لم يلتزموا بالعهد بل سعوا لتحقيق أهدافهم التوسعية في أملاك دمشق (ابن القلانسي،1982،ص 451، قلجي قدري، 1992، ص115) خاصة بعد المصاهرة التي تمت بين نور الدين محمود ومعين الدين أنر والتي منها أدرك الصليبيون أن ذلك سيكون فاتحة للتقارب بين الطرفين وينعكس ذلك على قيام تحالف بينهما ضد صليبيي بين المقدس، وبالفعل سارع نور الدين محمود حاكم حلب بتقديم العون لدمشق، الأمر الذي أدى إلى انسحاب الصليبيين وإلحاق الهزيمة بهم (ابن القلانسي،1982،ص 452، قلعجي،1992،ص 115).

زادت العلاقات سوءاً بين صليبيي بيت المقدس ومعين الدين أنر على أثر قدوم الحملة الصليبية الثانية سنة 543هـ/1148م إذ سعى الصليبيون لاستغلال هذه الحملة من أجل الاستيلاء على دمشق التي أصبحت تشكل خطراً أمام صليبيي بيت المقدس (ابن الأثير،1997،ص 159)

أدت هذه الحملة إلى تعزيز العلاقات بين أنر ونور الدين محمود، وحدث ما كان يخشاه الصليبيون فسرعان ما هب نور الدين محمود للزحف بقواته للدفاع عن دمشق، وتمكنت المدينة بفضل تضحيات سكانها من الصمود أمام الصليبيين، كما قام أنر باستغلال علاقاته مع عدد من أمراء الصليبيين لإقناعهم بفك الحصار عن دمشق، فقد كان مدركاً للخلافات القائمة بين الصليبيين القدامى وأولئك الجدد الذين جاءوا مع الحملة الصليبية الثانية، وقدم لهم أنر عدداً من التنازلات من أهمها: تسليم حصن بانياس وبعض المبالغ المالية وبالفعل تمكن أنر من تحقيق أهدافه (وليم الصوري، 1982، ص 318).

لذا فقد استطاع أنر الاستفادة من علاقاته السياسية السابقة مع أمراء صليبيي بيت المقدس واستغل ذلك من أجل تمزيق المعسكر الصليبي وإبعاد الخطر الصليبي عن دمشق.

استمر صليبيو بيت المقدس في الإساءة إلى علاقاتهم مع دمشق بشن بأعمال هجومية عليها، الأمر الذي دفع أنر إلى شن غاراته على مملكة بيت المقدس مما اضطر الصليبيون إلى طلب الصلح واتفق الطرفان على السلام بينهما لمدة سنتين (ابن القلانسي،1982، ص 472).

وفي سنة 544هـ/1149م أخذ الصليبيون يشنون الغارات على دمشق وخاصة بعد وفاة أنر وضعف مجير الدين حاكم دمشق (الذهبي، 2003، ص 315)، وعدم قدرته على إدارة شئون الإمارة الأمر الذي أدى إلى تحالفه مع الصليبيين وعاد الحلف الصليبي الدمشقي ضد تحركات نور الدين محمود وأصبحت دمشق تحت حماية الصليبيين وظلت تدفع ضريبة سنوية لمملكة بيت المقدس مقابل حمايتها (توفيق، 1986، ص 63).

وفي سنة 549هـ/1154م قام نور الدين محمود بالهجوم على دمشق وتمت السيطرة عليها رغم سعي مجير الدين للاستعانة بالصليبيين مقابل بذل الأموال، وعرض عليهم تسليم قلعة بعلبك إلا

أنه فشل في ذلك، وسرعان ما سيطر نور الدين محمود على المدينة (ابن القلانسي، 1982، ص479).

وبهذا يعد دخول دمشق في سلطة نور الدين محمود هزيمة لصليبيي بيت المقدس رغم محاولاتهم المستمرة للحفاظ عليها كمنطقة فاصلة بينها وبين إمارة حلب.

ثالثاً: العلاقات السياسية بين مملكة بيت المقدس الصليبية وكونتية طرابلس :

1) تأسيس كونتية طرابلس:

أخذ ريموند كونت تولوز يخطط للاستيلاء على مدينة طرابلس فحاصرها في سنة 495هـ/1102م ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها نتيجة لحصانتها (ابن الأثير،1997، ص490).

وفي سنة 496هـ/1103م عاود الكرة وحاصرها متبعاً أسلوباً مغايراً فقام بعزل طرابلس عن جميع المدن المحيطة بها فقام بالإغارة على منطقة البقاع وباءت محاولته بالفشل ، فاتجه لحصار حصن الأكراد إلا أنه اضطر للانسحاب على أثر قدوم قوات من دمشق (رانسمان، د.ت، ص 90).

قام ريموند بتضييق الحصار على مدينة طرابلس خاصة بعد استيلائه على جبيل، وشيد حصنا على إحدى التلال المحيطة بها وأطلق عليه تلة الحجاج (وليم الصوري،1982،ص 244). وتميز هذا الحصن بموقعه ويشكل قاعدة لانطلاق غاراته على طرابلس؛ لذا قام فخر الملك بن عمار بمهاجمته سنة 497هـ/1104م وتمكن من إحراقه فطلب ريموند المهادنة وتم الاتفاق بين الطرفين سنة 498هـ/1105م على تقاسم طرابلس فأصبح ظاهر المدينة لريموند مقابل تعهده بعدم منع وصول الإمدادات إلى داخل المدينة (ابن القلانسي، 1982، ص 23-238).

وفي نفس السنة توفي ريموند دون أن يحقق أمله في الاستيلاء على طرابلس، تاركاً ابنه الفونسو صغير السن فقام أتباع ريموند بتسليم القيادة لقريبه جوردان كونت سردينيا وتابع الأخير سياسة ريموند في مواصلة حصار طرابلس والتحالف مع الإمبراطورية البيزنطية (ابن القلانسي، 1982، ص238، فولتشر أوف تشارترز، 1995، ص 422)، وتمكن في سنة 502هـ/1108م من عزل طرابلس وقام بالاستيلاء على حصن عرقة (ابن الأثير، 1997، ص 526-527)، وبذلك أصبحت محاصرة براً من جميع الجهات.

إلا أنه ظهر أمام وليم خطر آخر أضعف قدراته ونفوذه حيث قدم إلى الشرق في سنة 502هـ/1108م برتراند ابن ريموند مطالباً بإرث والده ومعه قوة عسكرية (رانسيمان، د.ت،ص95).

فشلت مخططات وليم واضطر لمغارة أراضي إمارة أنطاكية وحدث تصادم بين الطرفين وقام برتراند بالتحالف مع بلدوين الأول( ) (ابن الأثير،1997،ص 526، 527)، وتم الوصول إلى اتفاق بين الأطراف المتصارعة وتقسيم إرث ريموند بينهما.

وبعد اتفاق جميع الأطراف زحفوا لغرض الحصار على طرابلس وتمكنوا من الاستيلاء عليها سنة 502هـ/1109م (فولتشر،1995،ص 345-436)، وقاموا بتدمير المدينة وأسر رجالها وارتكبوا فيها أبشع الجرائم وقاموا بحرق مكتبة دار العلم التي تضم ذخائر الكتب (ابن القلانسي، 1982، ص 262).

اتخذ برتراند من مدينة طرابلس عاصمة له ولقب بكونت طرابلس وتحالف مع بلدوين الأول وسعى لتوسيع أملاكه إلا أنه توفي وخلفه ابنه بوتر سنة 506-532هـ/1112-1137م ووصلت كونتية طرابلس في عهده أقصى اتساعها وأصبحت تمتد من مرقية والمرقب شمالاً ومن الجنوب تحدها مدينة الجبيل ونهر إبراهيم ومن الشرق يحدها نهر العاصي ويحدها من الغرب البحر المتوسط (سالم، السيد عبد العزيز، 1966، ص 136-138-139).

وبذلك تمتعت كونتية طرابلس بموقع جغرافي ممتاز محاطة بسلسلة من الجبال وسيطر على الطريق الساحلي، وأصبح موقعها يشكل حداً يحميها من الغارات الخارجية.

2) العلاقات السياسية بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس:

كانت العلاقات متوترة بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس بسبب عدم قبول الكونت ريموند أن يكون تحت دائرة نفوذ مملكة بيت المقدس (سالم، 1966، ص 186).

استمر هذا التوتر قائماً بين الطرفين إلى أن نشب نزاع بين ورثة ريموند (رانسيمان، د.ت، ص 95) بين برتراند ابن ريموند ووليم جوردان الذي خلف ريموند في قيادة القوات المحاصرة لطرابلس إلا أن موقف وليم كان ضعيفاً ولجأ كل من الطرفين للبحث عن حليف له فتحالف وليم مع الصليبيين في الشرق، وتحالف برتراند مع الملك بلدوين الأول مقابل الاعتراف بسيادة الأخير على إمارة طرابلس (رانسيمان، د.ت، ص 98).

قدم الملك بلدوين الأول لنجدة برتراند وطلب من جميع حكام الإمارات الصليبية العمل على حل الخلاف بين الطرفين، وتم ذلك وأصبحت مملكة بيت المقدس تفوق على بقية الإمارات الصليبية، وتم فض الخلاف بين خلفاء ريموند (رانسيمان، د.ت، ص 98).

وقد أعلن برتراند التبعية التامة للملك بلدوين وأصبحت كونتية طرابلس إقطاعية تابعة لمملكة بيت المقدس ومنها توجب على كونتية طرابلس المشاركة في الحملات العسكرية لمملكة بيت المقدس والانضمام إلى قوات الملك بلدوين (وليم الصوري،1982، ص 276).

ظلت كونتية طرابلس تابعة لمملكة بيت المقدس طوال حكم برتراند الأول إلا أن الأمر لم يستمر طويلاً وتزعزعت العلاقات بعد وفاته في عهد خليفته بونز لتحالفه مع تانكريد وأصبح تابعاً له، لكن في سنة 516هـ/1122م ساءت العلاقات فيما بعد بسبب خلع بونز ولائه للملك بلدوين الثاني، مما اضطر الأخير لجمع قواته والزحف صوب كونتية طرابلس (رانسيمان، د.ت، ص192).

ولعل سبب ذلك يعود إلى إدراك الملك بلدوين الثاني أن ذلك سيؤدي إلى اضطراب في الإمارات الصليبية علاوة على استفادة العرب المسلمين من هذا الأمر.

سعى بعض القادة الصليبين للتدخل في إصلاح العلاقات بين بلدوين الثاني وبونز إلا أن وقوع الملك بلدوين الثاني في الأسر لدى الأمير بلك بن بهرام الأرتقي أمير مدينة خرتبرت بالقرب من إمارة الرها سنة 517هـ/1123م أجبر كل من حاكم مملكة بيت المقدس وطرابلس على تناسي خلافاتهم والوقوف في وجه الحملات الإسلامية (سالم، 1966، ص179).

لهذا يتضح أن الخطر الإسلامي على الإمارات الصليبية هو حسب التقارب بين الطرفين وليس اعترافا من بونز أو من خلفه في حكم طرابلس بالتبعية لمملكة بيت المقدس.

ساد التوتر فيما بعد بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس إلى أن تعرضت طرابلس سنة 527هـ/1132م لإغارة من قبل تركمان حلب حيث لقى بونز الهزيمة أمام جيوشهم وطلب النجدة من الملك فولك الإنجوي الذي كان خلفاً للملك بلدوين الثاني فلبى فولك طلب النجدة (ابن القلانسي، 1982، ص 380).

ويلاحظ في ذلك عودة تحسن العلاقات بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس، وأصبحت كونتية طرابلس تابعة لمملكة بيت المقدس.

وفي سنة 532هـ/1137م قام فولك بالدفاع عن طرابلس ضد هجمات عماد الدين زنكي واستمرت العلاقات الودية بين الطرفين حتى مقتل ريموند الثاني سنة 547هـ/1152م وتولي الملك بلدوين الثاني الوصاية على كونتية طرابلس (سالم،1966 ،ص190). تكرر ذلك في سنة 559هـ/1163م عندما وقع الكونت ريموند الثالث أسيراً لدى نور الدين محمود فتولى الملك عموري الأول الوصاية على الكونتية، ومنها أصبح ملوك بيت المقدس يمارسون حق الوصاية على كونتية طرابلس.

استنتاجات البحث:

نستنتج من خلال هذه الدراسة ما يلي:

– تعد مملكة بيت المقدس الصليبية واحدة من أهم النتائج التي ترتبت على الحملة الصليبية الأولى.

– أن التفكك السياسي والديني الذي كانت تعاني منه بلاد الشام مكن القوات الصليبية السيطرة على العديد من المناطق الشامية.

– اتبع الصليبيون أبشع الأساليب الوحشية في السيطرة على المدن الشامية.

– أسهم ضعف الدولة الفاطمية وفشلها في الدفاع عن ممتلكاتها في بلاد الشام.

– بالرغم من الصراع والخلاف الديني بين المسلمين و الصليبيين إلا أن الظروف السياسية والعسكرية دفعتهم لتناسى ذلك الخلاف و التحالف فيم بينهم مقابل احتفاظهم بالسلطة.

– إن مسألة تبادل الأسرى أجبرت الطرفين على التواصل وتكوين نوعاً من المهادنة بينهما.

– أسهمت الحروب الصليبية في حدوث تقارب بين الدولة الفاطمية الشيعية والدولة السلجوقية السنية، ونتج عن ذلك اتفاق عسكري بينهما لجهاد الصليبين.

– كان الخطر الإسلامي على الإمارات الصليبية سبباً في التقارب بين الصليبيين أنفسهم، ومثال ذلك تحسن العلاقات بين مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية:

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ج8.
- ابن القلانسي (جمرة بن أسد)، ت555هـ/1160م، (1983)،ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار دمشق.
- ابن النديم (كمال الدين عمر بن أحمد)، (د.ت) زبدة الطلب من تاريخ حلب، تحقيق: سامي دهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق)، ج2.
- ابن قاضي شهبة بدر الدين،(1971م)،الكواكب الدرية في السيرة النبوية، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت.
- الحموي، ياقوت، أبو عبد الله، ت626هـ/1228م،(د.ت)، معجم البلدان، دار صادر.
- الذهبي، مُحَمَّد بن أحمد، ت:748هـ/ 1347م، (2003م)، وفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ج11.
- الصفدي: خليل بن أيبك، ت764هـ/1368م،(2000م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت.

ثانياً: المراجع العربية:

- ألبرت فون آخن، (2007م)، تاريخ الحملة الصليبية الأولى من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ج51.
- توفيق، عمر كمال، (1986م)، الدبلوماسية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، دراسة تحليلية وثقافية في التاريخ الدبلوماسي (491-690م/ 597-1211م)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- حلمي، أحمد كمال الدين،(1975م) ،السلاجقة في التاريخ، دار البحوث العلمية، الكويت.
- الدباغ، مصطفى، (1991م)، بلادنا فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، فلسطين.
- رانسيمان، ستيفن، (د.ت)، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج2.
- ريان، حامد، (1983م)، الصراع السياسي بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- الطيبي، أمين توفيق،(1992م)دراسات في التاريخ الإسلامي، طرابلس.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح، (1996م)، الحركة الصليبية، ج1، ط1، القاهر.
- علي، علي السيد، (1996م) ،العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر.
- عوض، مُحَمَّد مؤنس، (1992م)،الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبيين 1099-1187م، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- عوض، مُحَمَّد مؤنس، (1997م)، في الصراع الإسلامي – الصليبي (معركة أرسوف) 991م، القاهرة.
- فولتشير، أوف تشارترز، (1995م)،تاريخ الحملة إلى القدس من خلال الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة (سهيل زكار)، دار الفكر، دمشق.
- هانس ايرهارد، (1990م)،تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، طرابلس.
- وليم الصوري، (1982م)،الحروب الصليبية، ترجمة حسن حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- William of Tyre, (1943), A History of Deeds Done Beyond the Sea, Trans by - Babcock and Krey, Vol, I. , New York.
- Re'ne Grousset,(1939), L'Epopée des Croisades., Paris.
- Karen Armstrong, (1991), Holy Way, New york.